التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية وعلاقته بالبيئة المحيطة

م. م. زينب فهد عبد السادة

الجامعة التقنية الوسطى/ معهد الفنون التطبيقية

الملخَّص :

إن ما يكسب العراق وتراثه أهمية متزايدة، كونه واحداً من أقدم المراكز الحضارية في تاريخ الإنسان، فقد شهدت أرضه أقدم التجارب والمحاولات الإنسانية في شتى صنوف المعارف والعلوم والأفكار والآداب، وحقق العراقيون منجزات رائعة في حقل البناء والعمارة والفنون والصناعة، وكان البناء وجهاً متميزاً في مجموع النشاطات العراقية على مر العصور وعلى الرغم من تعدد أشكال الأبنية واختلاف وظائفها لكن البيت برز من بينها من ناحية القِدم والكثرة، كما إن أُسس تخطيطه وعمارته ومواد بنائه كانت الأساس الذي أُعتمد في تشييد الأشكال الأخرى من المباني العامة كالمعابد والأبراج التي فرضتها الطقوس الدينية. وإن واحدة من أبرز الخصائص الشكلية والجوهرية في البيوت العراقية سواء كانت القديمة منها أم التراثية على وجه التحديد تتمثل في القدرة العالية للمعمار العراقي على استيعاب خصائص الأرض والبيئة المحيطة متمثلة بالمناخ والحياة الاجتماعية معاً بالإضافة إلى المتطلبات الوظيفية للبيت وتحقيق التآلف بينه وبين مواد البناء المتوفرة، وصولاً إلى بيوت ذات شكل ومضمون يحقق الاستخدام الأفضل للإنسان سواء كان ذلك في إطار استخدام العائلة الواحدة للبيت أو الاستخدام الجمعي للوحدات السكنية في المدن، ولقد اهتمت الدراسة الحالية في كشف العلاقة ما بين التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية والبيئة المحيطة بها من الناحية الأدائية والجمالية كوسيلة من أجل الوصول إلى تصاميم داخلية معاصرة لها أصالتها وفكرها ومحتواها الثقافي.

أعتمد البحث على الدراسة النظرية لفضاءات بعض البيوت التراثية البغدادية، وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة فصول تضمّن الفصل الأول مشكلة البحث وأهميته بالإضافة إلى توضيح وتحديد الهدف والحدود وتعريف أهم المصطلحات التي وردت فيه. أما الفصل الثاني فقد تناول الإطار النظري، وقد تضمّن الإطار النظري مبحثين:-

تناول المبحث الأول مفهوم البيئة وتأثيراتها في التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية، أما المبحث الثاني فقد تضمّن توضيح التصميم الداخلي في البيوت التراثية البغدادية. أما الفصل الثالث فقد أشتمل على النتائج وفي ضوء النتائج ومناقشتها تم الخروج باستنتاجات والتي وضحّت علاقة التصميم الداخلي للبيوت التراثية بالبيئة المحيطة، لينتهي البحث بتقديم المقترحات التي تخص موضوع الدراسة ومن ثم التوصيات البحثية.

الفصل الأول

الإطار المنهجي للبحث

مشكلة البحث

تُعد بغداد من المدن المهمة في العالم وذلك لاحتوائها على أماكن وبيوت تراثية وحضارية لا تعد ولا تُحصى، هذه الأماكن تعد بمثابة كنوزاً لا تُقّدر بثمن من حيث الأهمية التاريخية والأثرية، إذ تتوزع هذه الأماكن والبيوت التراثية على مساحات واسعة من مدينة بغداد وعلى جانبيها في كل من الكرخ والرصافة، ويعود تأريخ إنشاء بعضها إلى بدايات العصر العباسي والبعض الآخر إلى العصر العثماني وكذلك إلى العصر الحديث، ويُمثّل البيت التراثي البغدادي نموذجاً لفن العمارة الأصيلة التي تنفرد في خصائصها الشكلية وتصميمها المعماري عن غيرها من البيوت لدى الشعوب الأخرى، فقد أستمد البيت التراثي البغدادي طرازه وخصائصه الشكلية من تلك المعمارية القديمة للحضارات العظيمة التي تعاقبت على العراق بدءً بالحضارة السومرية التي تعد من أقدم الحضارات الإنسانية، ثم الحضارة الأكدية وبعدها الحضارة البابلية التي تزامنت مع الحضارة الآشورية.

وكل جزء في البيت التراثي البغدادي مرتبط بأسبابه التي تفرضها التأثيرات البيئية والاعتبارات الاجتماعية، فالبيئة بمفهومها العام والشامل تعد من أهم المرجعيات التي كانت وما زالت تضغط وتؤثر على الفكر الإنساني، إذ تتجلى أهمية البيئة من خلال أهمية العلاقة بين الإنسان (الفنان) والبيئة المحيطة به وانعكاس ذلك في نتاجه الفني من العمارة والفنون الأخرى، فالفنان كان ولا يزال أبن بيئته ومحور تطورها الاجتماعي والحضاري عبر الأزمنة، كما إن البيئة بكل خصائصها الطبيعية والاجتماعية والثقافية ومعطياتها الحضارية تتمثل في مجمل نشاطاته المختلفة.

وقد تولدت فكرة هذا البحث منطلقة من مشكلة بحثية هي:-

ما هي العلاقة بين التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية والبيئة المحيطة من الناحية الأدائية والجمالية؟

أهمية البحث

تكمن أهمية البحث الحالي في إثراء الجانب المعرفي للتصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية من خلال الكشف والتحليل ومدى علاقته بالبيئة المحيطة من الناحية الأدائية والجمالية، الذي سيُلقي بفائدته العلمية إلى جميع الباحثين والدارسين في مجال التصميم المعماري والتصميم الداخلي ومحبي التراث العمراني.

هدف البحث

يهدف البحث إلى دراسة التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية والكشف عن علاقته بالبيئة المحيطة من الناحية الأدائية والجمالية كوسيلة من أجل الوصول إلى تصاميم داخلية معاصرة لها أصالتها وفكرها ومحتواها الثقافي والتراثي.

حدود البحث

يتحدد البحث الحالي بالآتي:-

1- الحدود الموضوعية:- دراسة التصميم الداخلي وعلاقته بالبيئة المحيطة (الطبيعية، الاجتماعية، الحضارية)، من الناحية الأدائية والجمالية.

2- الحدود المكانية:- البيوت التراثية لمدينة بغداد في كل من جانبيها الكرخ والرصافة.

3- الحدود الزمانية:- البيوت التي بُنيت في العقد الأول من القرن العشرين وحتى نهاية العقد الثاني من القرن المذكور، أي البيوت التي لم يتأثر تصميمها الداخلي بطروحات الفكر التصميمي الغربي نتيجة المد الحضاري للمستعمرين.

تحديد المصطلحات

1- البيئة Environment

لغةً:- من الفعل (بوأ)، (تَبَوّأ) منزلاً نَزَلَه و (بَوّأ) له منزلاً و (بَوّأه) منزلاً هَيَّأه ومَكَن له فيه (الرازي: ص 68) .

اصطلاحاً:- المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حية، وهي كل ما يحيط بالإنسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونُظم اجتماعية وعلاقات شخصية، وهي المؤثر

الذي يدفع الكائن إلى الحركة والنشاط والسعي، لذلك فإن التفاعل متواصل بين البيئة والفرد والأخذ والعطاء مستمر ومتلاحق بينهما (أحمد زكي بدوي: ص 136) .

كما تم تعريفها على أنها:- نظام متكامل يتألف من مجموعة العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالإنسان ويحيا بها (أبو رميلة: ص 5).

التعريف الإجرائي للبيئة

مجموعة من الأنظمة المتشابكة والمتداخلة مع بعضها البعض، وهي نسق متشكل بهيئة من العوامل والعناصر الطبيعية والثقافية ذات تأثير متبادل على الفرد والمجتمع.

الفصل الثاني

الإطار النظـــــري

المبحث الأول:- البيئة مفهومها وأهميتها

تنوعت وتعددت الدراسات العلمية والإنسانية التي تناولت مفهوم البيئة وتعمقت سُبل البحث والتحليل في مظاهرها والكشف عن خصائصها الطبيعية والإنسانية من أجل تقويم الصلة بين الإنسان والبيئة، فكلمة البيئة أصبحت واحدة من أكثر المصطلحات شيوعاً في أيامنا هذه والتي كثيراً ما يحدث التباس عند استخدامها، فالكلمة اصطلاحاً مجرداً قد تعني للوهلة الأولى بأنها المكان أو المحيط أو الفضاء الذي تجري ضمنه فعاليات معينة، ولكن بالتأكيد تلك الكلمة تختلف في معناها وفعِلها عند إلحاقها بكلمة أخرى، فمثلاً كلمة البيئة عندما يستخدمها عالم الجغرافية فيشير بها إلى بيئة الأرض والمناخ وعندما يستخدمها عالم الاجتماع فيشير بها إلى الفعاليات والعمليات والتنظيم الاجتماعي، في حين عندما يستخدمها المعماري فيشير إلى الأبنية والفضاءات المعمارية، أما المصمم الداخلي فهو يتعامل مع الفضاءات الداخلية وطبيعتها وقياساتها وطبيعة المكملات الداخلة ضمنها (العبيدي، شيماء عبد الجبار: ص 9). إذن مفهوم البيئة مفهوم واسع وشامل يشمل كل العالم المحيط بنا حاوياً كل شئ نراه أو نشعر به ويرتبط معنا مكانياً وزمانياً وبصورة مستمرة وواضحة في المكان ليكّون سلسلة من التراكيب والترتيبات المادية والاجتماعية الموجودة في كل لحظة من الزمن، وهو استمرارية لبعض الترتيبات التي تُنشأ وتُشّكل تطورها.

يرتبط مفهوم البيئة ومدلولها بنمط العلاقة بينها وبين الإنسان، فكل بيئة تأخذ نمطها وتشكيلها من خلال ملايين الأنشطة الإنسانية فيها لأنها نظام ونسق متكامل يتألف

من مجموعة من العوامل والعناصر الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية التي تحيط بالإنسان ويحيا فيها (أبو رميلة: ص 5).

أي إن البيئة تحوي عوامل معقدة ومتداخلة بعضها مع بعض منها عوامل مناخية ومنها الموقع الجغرافي فضلاً عن العوامل الاجتماعية مثل تاريخ البلد وتراثه وعاداته وتقاليده والتي تحدد نشاط الإنسان واتجاهاته وتؤثر في سلوكه ونظام حياته، وإن الإنسان يمثل المركز الرئيس للبيئة وفي الوقت ذاته هو جزء متداخل يؤثر ويتأثر بها، كما إن تطور البيئة يستند أساساً إلى تفاعل الإنسان مع بيئته، إذ إن البيئة تخلق تحديات للإنسان تُحتّم عليه مواجهتها واتخاذ ردود أفعال تجاهها لغرض النمو والتطور، فهي تقوده لإطلاق طاقاته الكامنة وإبداعاته الذاتية فأولى محاولات الإنسان للاحتكاك مع البيئة بهدف التفاعل معها كانت مع الإنسان البدائي الذي بدأ بصنع أدواته البسيطة تلبية لوظائفه وحاجاته ثم قام بتكرار العملية لينتج أدوات جديدة مماثلة لسابقتها، ومع تقدم الإنسانية أستطاع الإنسان بفضل ذكاءه وخبراته المتراكمة أن يتعرف على ما يحيط به أكثر فأكثر وأن يحّور بيئته من أجل مصلحته وأصبحت التجارب والمشاهدات الحياتية اليومية أساس استنباط مختلف الحقائق (العبيدي، محمد عبد المحسن: ص 41).

أنواع البيئات

1- البيئة الطبيعية (الفيزياوية) Physical Environment

يقصد بالبيئة الطبيعية كل ما يحيط بالإنسان من ظواهر حية وغير حية، مثل التضاريس والمناخ والنبات والحيوان والتربة ... وتتفق هذه العناصر مع بعضها البعض لتسّمى بالنظام أو النسق البيئي، ويختلف تأثيرها على الإنسان حسب طبيعة الموقع والواجهة الجغرافية والطبيعية للمكان (أحمد عوض: ص 19).

أي إن مكونات البيئة من مكونات غير حية أو كائنات حية جميعها متكاملة يسعى كل منها إلى استكمال النقص الذي يسببه غيره ويعمل على استعادة التوازن في البيئة، لذلك فالبيئة الطبيعية هي مجموعة الظواهر والأشياء المحيطة بالفرد والمؤثرة فيه، وهي الظروف الطبيعية التي تمكّن الإنسان من التكيف مع كل متغيراتها دون تغيره فيها وذلك لرجاحة عقله وسعة إمكانياته الذهنية والبدنية التي لها القدرة على اكتساب الخبرات، ولقد استأثرت البيئة الطبيعية باهتمام الباحثين لا سيما في الكشف عن الدوافع الأساسية التي جعلت الإنسان ينظر إلى محيط بيئته نظرة معمقّة، ومن أهم النظريات التي تبحث في

سائر العوامل المكونّة للبيئة هي النظرية الجغرافية التي تدعو إلى اعتبار البيئة المحددة بإطار معلوم منطلقاً أساسياً في فهم التراث الشعبي والاجتماعي والطبيعي والديني بغية تحديد السمات البارزة لذلك التراث وعمقه في التجربة الإنسانية للمجتمع الذي يعيش ضمن تلك البيئة (مجيد حميد عارف: ص 83).

2- البيئة الاجتماعية Social Environment

يقصد بالبيئة الاجتماعية ذلك الجزء من البيئة الشاملة التي تتكون من الأفراد والجماعات والأنساق الاجتماعية وأنماط التنظيم الاجتماعي وجميع مظاهر المجتمع الأخرى (أحمد عوض: ص 17)، وهي أحد أهم العوامل المكّونة للبيئة لكونها تتضمن الاحتواء والتأثير في العوامل البيئية الأخرى، كما إنها تعد مركزاً مهماً إزاء ضرورات التكيف مع مختلف جوانب الحياة وجامعة لمعطيات التجربة الإنسانية وما يحيطها من تفاعل وتطور (الخطاط: ص 83)، ولربما هي أكثر البيئات في تفعيل نشاط الإنسان وعلاقاته الاجتماعية والثقافية ورغبته في التطور وحاجته إلى الائتلاف والتعاون معتمداً على تكريس وتعميق العادات والتقاليد والقيم العقائدية والروحية وأنماط العلاقات الاجتماعية وما يترتب عليها من عوامل أخرى كما تعد البيئة الاجتماعية نقطة الارتكاز التي تستند إليها العملية التصميمية لسعة وشمولية الجوانب التي تتضمنها، لأن الفن بشكل عام ما هو في محصلته النهائية إلا تجربة إنسانية لطراز أمة معينة، بمعنى آخر إنه يمثل تراثها الثقافي في جانبيه المادي والروحي (ديو رايت: ص 7).

3- البيئة الحضارية Civilization Environment

يقصد بالبيئة الحضارية إنجازات الإنسان التي أوجدها داخل البيئة الطبيعية والإجتماعية، إذ أصبحت هذه المعطيات الحضارية المتباينة مجالاً لتقسيم البيئة الحضارية إلى أنماط وأنواع مختلفة، فالإنسان كظاهرة حضارية يتفاوت من بيئة إلى أخرى من حيث عدده وكثافته ودرجة تحضره وتفوقه العلمي مما يؤدي إلى تباين وإختلاف البيئات الحضارية وبالتالي يستوجب استحداث أنماط إسكانية وبيئات حضارية أكثر تجاوباً وتفاعلاً مع أنظمة المحيط الحيوي التي تُغّذي وتُشبع إحتياجاته المختلفة.

4- البيئة الثقافية Cultural Environment

أستطاع الإنسان منذ ظهوره حتى الآن أن يحقق بيئة مغايرة عن البيئة الطبيعية في محاولته الدائمة للسيطرة عليها وتكوين الظروف الملائمة لوجوده واستمراره، هذه البيئة المصنّعة التي تعتبر جزءاً من البيئة الشاملة هي البيئة الثقافية المستندة على أسس

الثقافة البشرية والتي تُعبّر عن طبيعة المجتمعات وتكشف ميولهم وتوجهاتهم الفكرية والسلوكية وتحدد مستوياتهم التطورية لأن الثقافة هي نظام متكامل فهي ((مظهر من مظاهر النشاط العقلي والسلوكي والمعرفي يتسم أو يشترك به مجموعة من البشر وله سمات مختلفة قد تكون دينية أو أدبية أو فنية أو علمية))، (النوري: ص 259).

أي إنها الانعكاس العملي لمعارف الإنسان في مختلف صنوفها وأنماطها وما تنطوي عليها من مقومات بيئية تتصل بالموروث الشعبي والجغرافي والديني عبر التفاعل الذي يقوم بين الإنسان وظواهر وجوده.

ويمكن التمييز بين نوعين من الثقافة هما:-

1- الثقافة المادية: وتشمل كل ما يصنعه الإنسان في حياته العامة وكل ما ينتجه العمل البشري من أشياء ملموسة، وهي نتاج التكنولوجيا التي تعتبر عاملاً وسيطاً بين الإنسان والبيئة الطبيعية.

2- الثقافة اللامادية: وتشمل مظاهر السلوك التي تتمثل في العادات والتقاليد والتي تُعّبر عن المُثل والقيم والأفكار والمعتقدات (أحمد عوض: ص 33- 36).

البيئة والإنسان

التفاعل بين الإنسان والبيئة قديم يعود إلى قدِم ظهوره على هذه الأرض، فقد أهتم الإنسان بالبيئة وكان همه الوحيد حماية نفسه من الظواهر الطبيعية لما تلك الظروف من تأثير على مأكله ومشربه ومعيشته، ومن خلال تفاعل الإنسان ضمن المكان الذي كان موجوداً فيه بالإضافة إلى احتياجاته المختلفة أستطاع أن يتعرف على بيئته بشكل تدريجي وأصبحت المشاهدات اليومية الحياتية للطبيعة والتعايش معها هي أساس استنباط الحقائق، كما إن بيئة الكون هي واحدة حتى وإن قُسمت إلى أقسام وإن الإنسان هو جزء من هذا الكون الكبير والواسع وهو أحد أهم الأحياء وأكملها التي تعيش ضمنه فهو يأخذ مقوماته من الكون ويتميز بعقله ويعيش ضمن بيئة خاصة فيعمل جاهداً في تطوير تلك البيئة، وقد أستطاع أن يفكر ويعمل ليجد طريقة للتفاعل مع البيئة، لذا أصبحت هناك عملية متبادلة من الانفعالات وتحدد نشاط الإنسان بناءً على ما يمتلكه من قدرات وممتلكات ومتغيرات فضلاً عن ما يحيطه وما في داخله. أي إن الإنسان وبشكل طبيعي ومستمر يسعى إلى تغيير البيئة المحيطة لكي تمنحه المزيد من الفعاليات والتجارب والخبرات وبما يسهم في تطوير إمكاناته وقابليته في سد حاجاته وإشباع رغباته، كما إنه ليس نوعاً ثابتاً ولا متكيفاً

إنه متغير وقابل للتغير، فهو يكتسب أفكاره ويبدع في تنفيذها ويستطيع أن يتعلم ويُرتّب معلوماته التي حصل عليها من بيئته المحيطة ويستوعب ويتبادل مع وسطه أو مع ما يجاوره من أفكار وصور وثقافات بسبب ما يمتلكه من قوة وإمكانيات بدنية وذهنية سرعان ما تظهر لتُعبّر عن نفسه، وهذا إن دل على شئ فهو يدل على مدى ثقافة الإنسان التي تساوي ما هو مُدرك ومكتسب من البيئة المحيطة والمتمثلة بالبيئة الطبيعية والاجتماعية والثقافية والحضارية (الحيالي: ص 11).

وعليه ترى الباحثة إن علاقة الإنسان بالبيئة تمتد لمراحل بداية وجوده وتفاعله مع المحيط الذي وِجِد نفسه في خِضمه، ولا يمكن الفصل بينهما إذ إن من الصعب فهم أثر الإنسان على بيئته أو أثر البيئة عليه أحدهما بمعزل عن الآخر فقد مر الإنسان والبيئة بمراحل تعكس تطور هذه العلاقة وظهور المشكلات البيئية وتعقيدها، كما إن الإنسان نتاج البيئة يقطُن فيها مع مجموعة من الأفراد في نقطة جغرافية محددة سياسياً ولها مجموعة من العادات والتقاليد والأعراف والقيم والأهداف مستقاة من البيئة التاريخية والجغرافية والدينية والسياسية والاجتماعية، فهو ابن البيئة وجزء منها ومصمم لبعض ما فيها وهو يتعامل مع أفكاره وهذه الأفكار لا تظهر ولا يمكن التعبير عنها إلا بالأشكال وهذه الأشكال هي في الحقيقة مستوحاة من البيئة الطبيعية بما تحويها من نُظم مختلفة وهيئات وكتل.

البيئة وتأثيراتها في التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية

يمكننا تقسيم البيئة العراقية إلى بيئة فيزياوية متمثلة بالمناخ وجغرافية المنطقة، وبيئة اجتماعية متمثلة بالسكان وكثافتهم ونوعهم وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم الدينية والاجتماعية فضلاً عن ثقافتهم، وبيئة حضارية متمثلة بالتاريخ والدين والتراث، فدراسة المناخ تعني دراسة عناصره الأساسية كالأمطار ودرجات الحرارة والرطوبة، أما جغرافية العراق فنعني بها موقع العراق الجغرافي من خطوط الطول والعرض والصحاري والجبال والأنهار، كما إن دراسة السكان وعاداتهم وتقاليدهم لمدينة بغداد كواقع حال والتي تؤثر على التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية وفضاءاتها الداخلية من ناحية حجمها وشكلها ونوع الوظائف المستخدمة فيها، أما دراسة البيئة الحضارية فتتمثل بدراسة التاريخ العراقي القديم لا سيما حضارة وادي الرافدين وفي جميع مراحلها (السومرية والأكدية والبابلية والآشورية)، والمؤشرات الحضارية المستقاة منها والمتمثلة بالرموز والخامات

والأثاث وأشكالها وألوانها وطرق الإضاءة فضلاً عن المحددات بنوعيها العمودية والأفقية للفضاءات الداخلية، كما لا ننسى أهمية توظيف تلك الرموز كالزخرفة والخط والعقود والأعمدة في التصاميم الداخلية وذلك لما تحمله من قيم ومعاني حضارية ودينية لتثبيت هوية وخصوصية التصميم الداخلي العراقي (الحيالي: ص 59).

1- البيئة الفيزياوية

إن البيئة الفيزياوية لها تأثيرات بالغة الأهمية في مساعدة الفنان (المصمم الداخلي)، لمعرفة الحاجة الملحة والماسة في اختيار أنواع معينة من المواد تبعاً لدرجات الحرارة والرطوبة (الظروف المناخية)، وهو بذلك يؤمّن الناحية الوظيفية الأدائية لتلك العناصر المستخدمة، أي يجب أن يأخذ المصمم الداخلي بنظر الاعتبار الجوانب الأدائية فضلاً عن الجوانب الجمالية لكي يضفي المصمم الفائدة والمنفعة على تصميمه لأطول فترة ممكنة وتوفير فضاء داخلي مريح لمستخدميه، ولعل استخدام الفنان للخامات المحلية المتوفرة في بيئته المحيطة يؤسس نوعاً من الترابط والتواصل وتأصيل وتحقيق للهوية المحلية ومن ثم انسجاماً روحياً لدى المتلقي (مستخدم الفضاء)، من خلال استشعاره بقيمة المادة المحلية وإمكانية صياغتها وقابليتها العالية في التوظيف الجمالي (آل سعيد: ص 173)، ومن المعروف إن المناخ في العراق لا سيما في مدينة بغداد يتميز بالجفاف وارتفاع درجات الحرارة في الصيف وبرودته المصحوبة بندرة الأمطار في الشتاء، وإن أهم ما يميز هذا المناخ هو اختلاف درجات الحرارة في أشهر الحر والتي بدورها تزيد عن ثلثي شهور السنة ومما يزيد من وطأة الحرارة في أشهر الربيع والصيف والخريف إنها شديدة الجفاف، هذا بالإضافة لانعدام وسائل التبريد والتكييف الاصطناعية كل ذلك جعل من مهمات معمار تلك الفترة مواجهة هذه الحالة بكل الإجراءات التصميمية والمعمارية والإنشائية الممكنة لبلوغ الحالة الأمثل التي تهيئ في فضاءات البيت البغدادي الراحة والهدوء والأجواء المناسبة للسكن، لذلك كان تركيز المعماري يتوجه صوب تلافي عناصر الحرارة من سقوط أشعة الشمس المباشرة لساعات طويلة والتعرض لتيارات هوائية حارة وجافة بصورة مباشرة أو استخدام مواد سريعة الامتصاص للحرارة أو تعرض الأجواء الداخلية لسرعة التبدل بسبب مواد البناء وسمكها ومساحة الفضاء الداخلي (السلطاني: ص 70- 77).

وقبل البدء في توضيح وتحليل المعالجات التصميمية التي عملها المعمار البغدادي جراء التأثيرات المناخية والبيئية لا بد لنا من وصف وجيز للبيت التراثي البغدادي

معمارياً وتخطيطياً وهيئةً وشكلاً ومقطعاً وواجهة واستعمالاً وخلال الوصف سيتم توضيح المعالجات التصميمية. يتألف البيت التراثي البغدادي من الفناء الوسطي المكشوف الذي يُعرف باسم (الحوش)، تحيط به فضاءات البيت وطارماته وأروقته ومرافقه الصحية من جهتين أو ثلاث جهات أو أربع حسب سعة البيت وإمكانية ساكنيه المادية ومركزهم الاجتماعي، إذ يُستخدم للتهوية والإضاءة كما يعد بمثابة المخفف لدرجة حرارة الجو حيث إن الهواء البارد أثقل من الهواء الحار لذا فإنه ينخفض أثناء الليل في فناء البيت مما يجعل الفناء والفضاءات المحيطة به باردة ورطبة إلى ساعات متأخرة من النهار، ويمكن المحافظة على درجة حرارة الفناء في فصل الشتاء ومنع دخول بعض التيارات الهوائية الباردة والحصول على الدفء إذا ما أُغلقت الأبواب الخارجية للبيت والفتحات الثانوية الأخرى، ويحدث العكس في فصل الصيف فيما إذا تُركت الأبواب والفتحات مفتوحة حيث يمكن الحصول على بعض التيارات الهوائية التي تعمل على تخفيض درجة حرارة الجو، كما أستطاع المعمار أن يخفف من شدة أشعة الشمس والحصول على الضوء بصورة مباشرة في الوقت نفسه بواسطة هذا الفناء، ويعد هذا الفناء مكاناً تجتمع فيه العائلة وملعباً ينطلق منه الأطفال ويعزلهم عن الفضاء الخارجي ويحجب النساء عن عيون الغرباء ويساعد على تخفيف الضوضاء التي تحصل في مختلف الأجواء الخارجية وزيادة على ذلك فقد أستطاع المعمار أن يخفف من حرارة الجو بوضع نافورة (شذروان) في وسط فناء البيت كمعالجة بيئية ويبدو إنها كانت ذات أثر فعال في ترطيب وتلطيف جو البيت البغدادي والتمتع بمنظرها الجميل (فريال مصطفى خضير: ص 110– 111).

أما من الخارج يتكون البيت من طابقين طابق أرضي يكون أقل ارتفاعاً من الطابق الأول وذلك لحمايته من أشعة الشمس المحرقة صيفاً ويتراوح ارتفاعه بين ثلاثة أمتار وثلاثة أمتار ونصف المتر، أما ارتفاع الطابق الأول فيكون ما بين ثلاثة أمتار ونصف المتر إلى أربعة أمتار ونصف المتر وحتى خمسة أمتار في البيوت الكبيرة للعائلات الغنية وهذا الارتفاع ناتج عن سعة الغرف الرئيسة وبهذا يمكن وضع طابق متوسط في الزوايا الداخلية وتسمى كل غرفة في كل زاوية من زوايا فناء البيت بـ (العلّية) وتستعمل كغرف إضافية للنوم في فصل الشتاء أو لخزن التحفيات أو الحاجيات المنزلية، كما إن شيوع الأبنية من طابقين كان قياساً بالعوامل المناخية حيث التمتع بمواصفاته في كونه يوفّر الظل في بعض جهاته وحصر تيار هوائي بارد في فناء البيت، إذ أعتاد المعمار أن يجعل ارتفاع الطابق الأول يزيد عن ثلاثة أمتار لأسباب تتعلق بوجود

كميات من الهواء تحافظ على درجات حرارتها دون التأثير السريع بتبدلات الطقس الخارجية، وعليه تكون حصيلة ارتفاع الطابقين بحدود سبعة أمتار مع احتساب سمك مواد التسقيف، إن هذا الارتفاع المحيط بالفناء المكشوف يسمح بتعرض الفناء إلى أشعة الشمس لوقت معين من النهار وهو أمر ضروري لامتصاص الرطوبة ولإضاءة أعمق نقطة من البيت خاصة السرداب وقت الظهيرة لذا كان البيت المبني من طابقين هو الأفضل بسبب ملاءمته مع المناخ الحار (أبو الخيل: ص 170).

ويتميز البيت البغدادي بسطوحه المتوزعة حول فتحة فناء البيت في الطابق الثاني والتي تستعمل للنوم أثناء الليل طول موسم الصيف، كما إن هناك ميزة فريدة في البيت البغدادي هي احتواءه على سرداب وشبه سرداب واحد أو اثنين أو ثلاثة تكون موزعة حول أضلع فناء البيت والتي لا تتعرض لأشعة الشمس صيفاً فأرضيتها من الآجر والنورة وتكون منخفضة عن أرضية الفناء الوسطي وهي أكثر برودة من أي مكان آخر في البيت تتخلل جدرانها المنافذ الخاصة للإضاءة والتهوية والخزانات الجدارية المتشاكي(*) والتي خُصصت فيها مواضع القناديل والأسرجه لإعطاء ظل وضوء وإعطاء الامتداد الملائم والتنوع (مناف جعفر مهدي: ص 156).

ومن خصائص البيوت التراثية البغدادية خارجياً هي تطليعة الطابق الأول حيث تبرز أرضيته وجداره الخارجي على الزقاق أو الشارع مؤلفة ما يسمى محلياً بالشناشيل والتي تحتوي على المشبكات والوحدات الخشبية، والشناشيل في البيوت البغدادية تعادل المشربيات في البيوت المملوكية الموجودة في القاهرة وتعادل أيضاً الرواشن في بيوت جدة التراثية كما إن بروز الشناشيل يكون سبباً لمنع تساقط الأمطار أو سقوط أشعة الشمس على واجهات جدران الطابق الأرضي والأبواب، كما إنها تعمل على الاتصال

(*) المشاكي: مفردها (مشكاة) وهي كوة غير نافذة معقودة مقعرة نصف دائرية المسقط وقد تأخذ شكل متوازي المستطيلات فتصبح مستطيلة المسقط ومسطحة الصدر والسقف والجانبين وفي الحالتين أو في حالات أخرى مشابهة تغور في الجدار لتوضع فيها تحف أو قناديل أو تُقام على الجدران الخارجية لأهداف زُخرفية وكثيراً ما زُينّت ولُونت وأُستعمل فيها مختلف الرسوم والمواد، وتستخدم المشكاة الكبيرة في تخزين الكتب والملابس وتكون بأرفف صخرية ومفصولة بأنصاف أعمدة وتغطي الجدار، كما تُجهّز بعض المشاكي بأبواب خاصة تُخزن فيها الكتب أو مصليات صغيرة، وقد ظهرت المشاكي في البيت البغدادي داخلياً وخاصة في الفناء الداخلي وقد تنوعت من حيث الأشكال والتركيب والخامات المستعملة، فقد ظهرت المشكاة المستطيلة المسقط البسيطة التركيب وقد أُنهيت بالجص الأبيض وبعمق مناسب، وكذلك ظهرت النصف دائرية والمضلعة والمُطعمة بالزجاج الملون والمرايا وأُسندت قاعدتها بقطع المرمر وبتشكيل قوسي مقرنص من الأعلى تستند على أعمدة جانبية، وبشكل عام أُستخدمت المشاكي لأغراض تزينية وجمالية ووظيفية وزُينت بواطنها بالزخرفة الآجرية المتنوعة وجاءت عقودها بأشكال زخرفيه بحتة (عبد الرحيم غالب: ص 334).

المستمر بين أجواء الفضاءات الداخلية وبين الأجواء الخارجية من ناحية الضوء والتهوية، بالإضافة إلى ذلك من خلالها يتم التحكم في غلق أو فتح النوافذ وجميعها تُشّيد من الخشب وذلك لتخفيف وزن بناء الطابق الأول عن طريق خفة مواد البناء، كما إنها أبطأ في امتصاص الحرارة وعكسها، فالتنظيم لدى المعمار كان يبدأ بالمادة الأولية كالخشب والحجر وغيرها من المواد التي تمر بعمليات متعددة قبل أن تأخذ شكلها وموقعها النهائي (راسموسين: ص 13). ويتميز البيت أيضاً بمدخله المنكسر الذي يساعد على دخول الهواء البارد نسبياً من الأزقة والدرابين ذات الحرارة المنخفضة والضغط العالي ويعمل على إبعاد ساحة البيت (الفناء الوسطي)، التي هي محور ومركز نشاط العائلة عن الضجيج والضوضاء وفي نفس الوقت تمنح مستخدمي البيت نوعاً من الحرية (كمال الدين سامح: ص 77).

كما تُشكّل البيوت التراثية كتلاً بنائية متلاحمة إذ إنها تُبنى متلاصقة جنباً إلى جنب وظهراً على ظهر ولا تبدي منها إلا واجهة واحدة هي الأمامية المطلة على الأزقة، أما من ناحية تخطيطها فإنها تتصف بنمو تدريجي متجانس مع أزقة تفصل كتلاً بنائية بعضها عن بعض وهذه الطرقات نفسها لها مستوياتها من ناحية الطول والعرض وعدد البيوت التي تؤدي إليها، فالزقاق المحاذي للبيت يكون واسعاً عند الطابق الأرضي لكي يكون متسعاً لمرور الماشين فيه وفي الوقت نفسه يسمح بالتهوية الطبيعية لفضاءات الطابق الأول المطلة عليه ويقلل من أشعة الشمس، كما إن التخطيط والإنشاءات المتلاحمة والكتل البنائية المتلاصقة هي نتيجة تبني فكرة استعمال الفناء الداخلي (الحوش)، وكذلك تبني فكرة مبدأ توجيه الفضاءات ونوافذها نحو الداخل بدلاً من الخارج ما عدا الفضاءات الخارجية للطابق الأول التي تحتوي على الشناشيل التي تعطي طرقات بغداد وأزقتها المِيزة والهوية المعمارية الخاصة بها. إن مفهوم تصميم هذه البيوت وفق هذا الأسلوب يؤدي إلى حماية أحدهما الآخر من الشمس المحرقة صيفاً ومن زخات المطر شتاءاً وبهذا فإن هندسة البيوت تُعّرض أقل مساحة سطحية لأشعة الشمس (البهنسي: ص 84).

ومن كل ما تقدم تستنتج الباحثة إن البيوت التراثية البغدادية بكل فضاءاتها صُممت لعدة استعمالات فهي تتناسب مع الصيف الطويل والشتاء القصير ولجميع الفصول، إذ يستعمل الطابق الأرضي والسرداب صيفاً في أوقات النهار والسطح ليلاً ويستعمل الطابق الأول في فصل الشتاء، لذلك يكون البيت البغدادي مصمماً لاستخدامين في آن واحد (صيفي وشتوي)، أما الطارمات فتستعمل للنوم ليلاً في موسمي الربيع والخريف وهذا

يدل على طابعها الانتقالي من الموسم البارد إلى الموسم المعتدل، وختاماً فإن مفهوم البيت التراثي البغدادي وتصميمه بجميع أشكاله وواجهاته انعكاس في العمارة والعمران للعوامل المناخية وللظروف البيئية السائدة، كما يعتبر البيت البغدادي من أهم المنجزات المعمارية للعراق إذ أعتمد المعمار البغدادي في تصميم الشكل المعماري للبيت على ما توفر لديه من مواد بنائية آنذاك محققاً بذلك القيمة الوظيفية والجمالية للبيت.

2- البيئة الاجتماعية

تأثر تطور ونمو الحي والبيت العربي عموماً والعراقي خصوصاً ومنذ القدم بالطبيعة الجغرافية والمناخية والخصوصيات السكانية فضلاً عن تحديد خصائصه ومميزاته الجوهرية من خلال طبيعة النظام الاجتماعي الذي بُني أساساً على النظام القبلي والعشائري والمستند إلى النظرة الدينية بشكل عام، فمسؤولية العائلة في الدفاع عن أفرادها ووجودها كجماعة وحماية الفرد الذي يستمد قوته من المجموع أنعكس ذلك في تصميم الحي السكني البغدادي، فقد صُمم بأسلوب يحقق الدفاع ضد أي خطر محتمل، فهو عبارة عن تجمع سكني مغلق ومتراص قادر على توفير الحماية وتعزيز مبدأ التعاون والتكافل الاجتماعي، إذ البيوت متراصة ومتجاورة توفّر أُلفة اجتماعية تكون فيها مسؤولية الجميع ومصالحهم متداخلة في توفير الأمان والاطمئنان والمحافظة على عادات وتقاليد موروثة، فكان الشئ المميز لهذه الوحدات السكنية هو تجمعها حول محور جوهري مفتوح مثل ساحة ومنها تتفرع أزقة صغيرة وضيقة ومغلقة، وكانت عملية الفصل بين التجمعات المتجاورة تتم ببناء جدران لهذا الغرض وبذلك تعطى الخصوصية للمجموع المتجانس ضمن العموم للأسرة والفرد والذي يتجلى ذلك في البيت الذي يعيش فيه الفرد ضمن ذلك المجتمع حيث بقيت الخصوصية الفردية محافظة على ذاتها في البيت، وهذا واضح من خلال انفتاح البيت إلى الداخل وانغلاقه من الخارج حفاظاً على مبدأ حرمة البيت (أمان كريستي: ص 30- 31).

إن تنظيم البيت البغدادي كان يتميز بفصل واضح ما بين العالم الخارجي كحقل لنشاط الأفراد، وبين العالم الداخلي كموقع للحياة العائلية وحقيقة هذا الفصل الدقيق بين الداخل والخارج قد تطور ضمن البيت الواحد، فعلى سبيل المثال فضاء استقبال الضيوف في البيت كان محرماً دخوله من قبل النساء أثناء وجود الضيوف لذا وِضع هذا الفضاء ضمن التصميم الأساسي في مقدمة البيت أو قرب المدخل، أما الفضاءات الداخلية والمخصصة للمعيشة والنوم فكانت محجوبة عن الرؤية من الخارج وبهذا كانت العائلة

تحمي وجودها وتحافظ عليه (مناف جعفر مهدي: ص 2). وعليه يمكن القول إن البيت التراثي البغدادي بقي محافظاً من خلال تصميمه على تلك الأصالة والقيم والتقاليد التي كان يحملها الإنسان العراقي والتي رسمت صورة واضحة لشكل البيت الذي أراده في تلك المنطقة وجاء كترجمة لقيم اجتماعية وعقائدية يؤمن بها، لقد كان البيت التراثي البغدادي مرآة واضحة تعكس عقيدة المجتمع وقيمهِ الروحية والعقائدية فقد تمكن المعمار البغدادي من خلال تأكيده على مفهوم الوظيفة والأمان والحماية والخصوصية النابعة من العقيدة أن يقسّم البيت إلى مجاميع من الفضاءات المختلفة تبعاً للوظيفة والحالة الاجتماعية والظروف البيئية.

3- البيئة الحضارية

يُعد العراق واحداً من أهم البلدان الذي أمتاز بتواصل حضارته منذ أقدم العصور التاريخية وهذا ما لمسناه وشاهدناه بشكل واضح في العديد من الأبنية الأثرية والتراثية التي شُيّدت في فترات زمنية مختلفة وأماكن متعددة من العراق ما زال البعض منها قائماً يُدلل على عظمة ومكانة حضارة العراق وقدرة بُناتها على التكوين والإبداع والابتكار مع التأكيد على الارتباط بالجذور الأولى لحضارة بلاد وادي الرافدين لا سيما في ميدان العمارة. والبيوت التراثية البغدادية واحدة من هذه الشواهد التي استمدت طرازيتها من تلك المعمارية القديمة للحضارات العظيمة التي تعاقبت على العراق بدءً بالحضارة السومرية التي انتشرت في جنوب العراق سنة (3500 ق . م)، والتي تعد من أقدم الحضارات الإنسانية ثم الحضارة الأكدية الساميّة شمال منطقة بابل، ومن بعدها الحضارة البابلية التي تزامنت مع الحضارة الآشورية، وظهرت في هذه الحضارات أنواع من العمارة والفنون فشُيّدت المدن الواسعة كمدن (نيبور، ولكش، وآور، وبابل، ونمرود، ونينوى، وغيرها)، من المدن بالإضافة إلى المعابد والأبراج التي فرضتها الطقوس والشعائر الدينية ونظراً لعدم توفر الأحجار والأخشاب في المنطقتين الوسطى والجنوبية فإن العمارة تميزت بصورة عامة باستخدام الطين كمادة أساسية للبناء ولم يتأخر العراقيين في صناعة الآجر فقد وصلتنا أبنية منذ مطلع الألف الثالث ق . م أُستخدم فيها الآجر بحجوم مختلفة ولكنه بقي محافظاً على شكل المضلع أو المربع كما هو في الوقت الحاضر لعلاقة ذلك بدور الآجر في البناء وأصبح استخدامه شائعاً في عموم الأبنية العراقية القديمة والتراثية ولا يزال استخدامه كبيراً لحد الآن ولم تستطع مواد البناء الأساسية الأخرى أن تحل محله لوفرة مادته الأولية وسهولة صناعته والأهم من ذلك ملائمته لشروط المناخ القاري الحار الشائع في العراق، وقد هيأ الآجر فرص التوصل لبناء الأقبية والسقوف المعقودة وعقود

المداخل وبذلك ساعد في تلافي النقص المعروف في مواد البناء من ألواح الأخشاب المتينة والمستقيمة كما هو الحال في باب عشتار، وأستمر استخدامها بصورة مطّورة كما يظهر ذلك في آثار المدائن (طاق كسرى)، أو في مدينة (الحضر)، أو في الأبنية التي شُيّدت في العهد الإسلامي (الدواف: ص 11، ص 271).

لذلك نستطيع أن نؤشر بأن السقوف المعقودة بطريقة الأقبية إنها تُمثّل تواصلاً معمارياً قديم النشأة في العراق، أما في المنطقة الشمالية فقد تم استخدام الحجر لتوفره بكثرة، كما تمكن الإنسان في وادي الرافدين من معالجة الجدران بأكسائها من أجل حمايتها من العوامل الجوية فأبتكر الآجر المحروق للحماية ثم جاء بعد ذلك بالآجر المزجج، أما طريقة التثبيت فقد كانت على شكل مخاريط تدخل في الجدار، كما تم استخدام الحفر البارز والغائر أي التشكيل الهندسي للآجر كنمط في نظام محدد وقاموا بتزجيجه بألوان وأشكال مختلفة (راسموسين: ص 1).

المبحث الثاني:- التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية

أستمد المعمار العراقي خبرته المعمارية من خلال تجاربه وممارساته العملية ولسنوات طويلة، فقد نجح في توظيف المواد البنائية المتوفرة في تصميمه وبناءه للبيت وبما يتلاءم والظروف البيئية والاعتبارات الاجتماعية، فالتصميم الداخلي للبيت البغدادي يعد بمثابة المرآة التي عكست وبشكل دقيق فكر وعقيدة المستفيدين من فضاءاته والتي تمثل جزء من خصوصياتهم، فكان التصميم ضمن محتوى عقائدي يُعّبر عن فلسفة الوجود والتكوين وعن عادات وتقاليد واضحة مستمدة من القيم الاجتماعية ومفاهيمها المرتبطة بالعقيدة أيضاً، كما نجح أيضاً على تأكيد مفهوم الوظيفة والأمان والحماية، بالإضافة إلى تلك اللمسات الفنية التي تركها على النوافذ والأبواب وكذلك نوع الزخرفة التي تُزّين فضاءات البيت أو الشناشيل المطلة على الخارج والداخل والتي تأثرت بفن الزخرفة الإسلامية وفن النقش العربي القديم (العمايرة: ص 12)، وقد قَسّمَ المعمار البيت إلى مجاميع من الفضاءات المختلفة تبعاً للوظيفة والحالة الاجتماعية والتي سيتم توضيحها بشكل مفصّل مع توضيح أهم الخصائص الشكلية والعناصر التصميمية.

أولاً:- فضاءات ووحدات الطابق الأرضي

1- المدخل Entry

رافق المدخل البيت العراقي منذ أقدم العصور التاريخية وحددت الظروف الطبيعية والعلاقات الاجتماعية والمواد البنائية المتوفرة والحالة الاقتصادية لصاحب البيت موضعه وشكله، ولهذا فإن موقعه كان مختلفاً من بيت لآخر والمدخل هو المفصل الرابط بين العام

والخاص أي بين الخارج والداخل، ومن هنا يتضح إن هناك معالجات مفصلية بين العام والخاص من خلال المدخل، فهو يوفر حماية للفرد ويساعد على الاستقرار النفسي ويكون حلقة وصل بين البيت والخارج (فريال مصطفى خضير: ص 107). أما الباب الذي يسد فتحة المدخل فيعتبر من ضروريات البيت ومن الأمور التي لا بد منها فهو يحافظ على حرمة البيت ويمنح ساكنيه الأمان والاستقرار وهو يختلف في حجمه وزخرفته من بيت لآخر ومن خلاله يمكن للمرء أن يقدّر مدى فخامة البيت من الداخل، ويكون أما من مصراع (طلاّقة) أو من مصراعين وتوضع في الغالب مطارق معدنية بأشكال ووضعيات مختلفة، فعلى سبيل المثال كانت أبواب بيوت متوسطي الحال تتكون من قطعة واحدة وتوضع على الباب مطرقة معدنية على الجانب والتي تزيد من جمالية الباب، أما الإطار البنائي الذي يحدد الباب في جانبه العلوي والذي يكون دائماً على شكل عقد فيُملأ بزخارف جصية ذات أشكال نباتية أو هندسية أو تُصنع من الخشب على شكل أغصان ملتوية متعاشقة ومن خلال الفتحات الموجودة في الزخرفة ينفذ الضوء والهواء إلى (الدهليز)، (سليمة عبد الرسول: ص 37).

2- الدهليز (المجاز) Corridor

وهو الممر الذي نصل من خلاله إلى ساحة البيت (الفناء الوسطي)، إذ يمر عبر منعطف أو منعطفين ثم الساحة أو الفناء ويكون بوجه عام على شكل مستطيل مستقيم أو من مستطيلين متقاطعين لكسر محور الرؤية وتوفير خصوصية ولفصل الفضاءات العامة عن الخاصة بالنسبة للبيت، إذ يساعد على إبعاد ساحة البيت التي هي محور نشاط العائلة عن الضوضاء وتيارات الهواء كما يمنح ساكنيه نوعاً من الاستقرار والطمأنينة ويعزلها عن الخارج، فالعابر المتطفل لا يمكنه رؤية من في الداخل إذا ما فُتِحَ الباب كما يحافظ على جو البيت وعلى نظافته من العوارض الجوية كالتيارات الغبارية ومهما يكن من أمر فإن ظهور هذا العنصر التصميمي في البيوت البغدادية كان يستهدف غرضاً اجتماعياً يتلاءم والتقاليد الشرقية (الأشعب: ص 25). ويطل الدهليز في أحد جانبيه ومن خلال نافذة على السرداب وقد تكون باب السرداب من الجانب الآخر كما يتصل به ومن الجهة القريبة للباب الرئيسي للبيت فضاء استقبال الضيوف وبذلك يتحقق مبدأ عدم الاختلاط وتأكيد الخصوصية وبعد استخدام الحديد في التسقيف استعملت الروافد الحديدية في تسقيف الدهليز مع إبداع المعمار في رصف الآجر بأشكال زخرفية فنية (كمال الدين سامح: ص77).

3- الفناء (الصحن) Landing

هو من أهم الخصائص الشكلية للتصميم الداخلي في البيوت التراثية البغدادية، وهو الفضاء الوحيد المكشوف في البيت الذي تدخله أشعة الشمس والذي من خلاله ينفذ الضوء والهواء إلى فضاءات البيت الأخرى، كما إنه محور البيت الذي يؤدي إلى الفضاءات والوحدات المحيطة به كما في الشكل (2-1)، ويكون شكله مربعاً أو مستطيلاً ومستوى أرضيته أوطأ من مستوى أرضية الفضاءات الأخرى، وذلك لمنع تسرب مياه الأمطار الساقطة عليه إلى الفضاءات المجاورة وتُبلّط أرضيته في الغالب بالآجر الفرشي المربع الشكل حيث يُصف بهيئة معينية بهدف إضفاء تشكيلاً جمالياً على الفناء والتقليل من احتمالات قفع الآجر الذي تسببه عوامل الرطوبة والضغط غير المتساوي لفضاءات البيت (سليمة عبد الرسول: ص 41).

4- الفسقية (الشذروان) أو (النافورة) Fountain

من المعالجات البيئية في البيت البغدادي هي الفسقية أو الشذروان، وهي عبارة عن حوض محفور بالأرض ينساب الماء بداخله تُستخدم لأغراض الزينة وترطيب الجو أيام الحر والجفاف شكل (2-1)، ويكاد لا يخلو بيت أو قصر أو مسجد أو حديقة منها، وقد تكون هناك عدة فساقي في البُركة الواحدة متدرجة في الارتفاع ومركّبة بعضها فوق بعض وتتوسطها نافورة، وقد نجح المعمار في استخدام أفضل المواد من رخام وحجر في عمل أدق النماذج من النافورات حفراً ونقشاً ونحتاً واستغلال ماء الفساقي جمالياً ووظيفياً، وظهرت الفسقيات في البيت البغدادي بأشكال مثمنة أو دائرية تتوسط الباحة المربعة للفناء الداخلي حيث تعطي حركة مستمرة للفناء وتركيزاً بصرياً يثير الإنتباه ويجذب البصر إلى داخل الفناء بالإضافة إلى الأغراض الوظيفية الأخرى(عبد الرحيم غالب: ص 84).

شكل (2-1)

الفسقية والفناء الداخلي

تصوير الباحثة – بيت عبد المجيد الشاوي

5- الليوان Lawn

هو امتداد فضائي جانبي لفضاء الفناء الداخلي له ثلاثة جدران وسقف ويكون مكشوفاً من واجهته الأمامية، يتكون سقفه من عقود مدببة أو على شكل روافد وجسور خشبية تستند عند الواجهة على أعمدة خشبية تُزيّن بتيجان خشبية ويعتبر الليوان من المستلزمات الضرورية للبيت البغدادي شكل (2-2)، فهو يُستخدم من قبل أفراد العائلة للقيلولة خلال النهار بعيداً عن أشعة الشمس إذ يتوفر فيه الضوء والهواء وأحياناً لتناول الطعام بعيداً عن محاور الحركة التي تمر في الفناء الداخلي مما يضفي عليه حالة الاستقرار، وقد يوجد في البيت أكثر من ليوان ويمكن القول إن البيت الذي لا يحتوي على ليوان لا يعد بيتاً ليُسكن فيه ولا يدل على مكانته وقدرة مالكه المادية ومن المرجح إن الليوان قد عُرِفَ في العراق منذ عصور قديمة (مصطفى جواد: ص 169).

شكل (2-2)

الليوان في البيت البغدادي

تصوير الباحثة – بيت السويدي

6- فضاء استقبال الضيوف Reception Space

يكون أقرب الفضاءات إلى المدخل ويتصل به مباشرةٍ من الجهة القريبة للباب الرئيسي لتحقيق مبدأ عدم الاختلاط مع فضاءات البيت الأخرى، ويعتبر من الفضاءات العامة بالنسبة للبيت والخاصة بالنسبة للضيوف ويرتبط هذا الفضاء بفضاء آخر تنفتح بابه على الفناء الداخلي يمثل فضاء استقبال النساء، وهذان الفضاءان ينفتحان على الصحن الداخلي بنوافذ ذات زخارف من الخشب المُطّعم بالزجاج الملون للحصول على الضوء بالإضافة إلى المتطلبات الجمالية المتحققة من خلال ألوان الزجاج، ويُمّثل فضاء الاستقبال واجهة البيت لذا يتم العناية بزخرفته وأثاثه وتصميمه داخلياً وخارجياً لما له من أهمية في إظهار الحالة المادية والاجتماعية لصاحب البيت، إذ يُغلّف السقف بأشكال زخرفية مختلفة الألوان تتوسطها أشكال معينية أو مربعة أو دائرية، كما يُستخدم الآجر الفرشي في تبليط

الأرضية وتشتمل الجدران على المشاكي المؤطرة بإطار نصف دائري لأغراض السلامة والأمان والجمالية (العيساوي: ص 112).

7- السرداب Basement

هو من ملحقات البيت البغدادي وقد أُقِيم بالضرورة وفقاً للظروف الجوية المناخية، فقد أستطاع المعمار العراقي أن يتغلب على مواجهة الحر الشديد وارتفاع درجات الحرارة في الصيف نتيجة لتجاربه وخبراته الطويلة، والتي تمكّن من خلالها توفير الجو المناسب في البيت. تُشّيد السراديب في الجهة الجنوبية من البيت لأن الشمس لا تصلها إلا قليلاً وبصورة عامة يكون السرداب منخفضاً عن مستوى أرضية البيت بعدة دَرْجات ويختلف عمقه من بيت لآخر، أما سقف السرداب فيكون على شكل عقادات أو أقبية وتُبلّط أرضية السرداب بنوع من الطابوق الفرشي الذي يساعد على عدم تآكل هذه المادة بسبب انخفاض أرضية السرداب وتعرضها إلى الأملاح، كما تتخلل جدرانه الخزانات الجدارية والتي تُخصص لوضع القناديل لإعطاء الظل الضوء (الدواف: ص 321)، ويحصل فضاء السرداب على الإضاءة الطبيعية من خلال الفتحات النافذة (النوافذ) إلى الصحن الداخلي والباب الرئيسة له، أما التهوية فتتم عن طريق الملاقف الهوائية أو ما يطلق عليها أسم (البادكير)(*)، وقد احتلت السراديب مساحة كبيرة تتراوح ما بين خمسة أمتار إلى تسعة أمتار وأحياناً تكون بعرض مساحة قطعة الأرض وبذلك تكون بمثابة أساس الطابق الأرضي، كما يعلو سقفها مستوى أرضية الطابق الأرضي بمسافة ثلاثة أمتار فيكون عمقها ما بين (6-7م)، ويُستغل ارتفاع سقف السرداب في بناء غرفة صغيرة تبدو وكأنها معلّقة على الجدران كشُرفة مطلة عليه وتكون النوافذ من الخشب المعمول بطريقة التعشيق في تشكيلات زخرفية، أما سقوف السراديب فتستند عادة على عدد من العقود المدببة التي تبعد عن بعضها البعض بمسافات مستوية وتُبنى على طريقة عقادة الطابوق المنجور والجص وإن غالبية السراديب المقباة بالآجر يكون سقفها بمستوى أرضية الطابق الأرضي، أما السراديب التي سُقفت بروافد من خشب (الحور)، أو التي سُقفت بروافد حديدية وهذه الأخيرة هي أحدث زمناً في الغالب فإنها تعلو عن مستوى أرضية البيت بحدود (1-2م)، (سيتون: ص 110).

(*) البادكير: هو إصطلاح فارسي بمعنى جالب الهواء مركب من (باد) هواء و (كير) جالب أو هو مجرى الهواء في الجدار أو في سقف المنزل ولهذا المجرى فتحات في أعلى السطح موجهة نحو إتجاه الريح السائدة في المنطقة، وقد يوجه هواء أحد المجاري إلى حفرة مبنية تحت أرضية السرداب تسمى (زنبور) يُثبّت على فتحتها مشبك من خشب أو حديد يوضع عليها قليل من الماء وبعض الفواكه لغرض تبريدها في الصيف (شريف يوسف: ص 584).

8- النوافذ والكواء(*) Windows

إن استخدام النوافذ كان معالجة وظيفية الهدف منها توفير الضوء المباشر حيث تطل معظمها على الصحن الداخلي والحصول على التهوية في الوقت الذي امتازت به الجدران الخارجية بقلة نوافذها من الخارج شكل (2-3)، وترتفع الحافة السفلى للنوافذ عن أرضية الطابق بأكثر من مترين حتى لا يمكن لشخص متوسط الطول أن يطل منها على الجيران حرصاً على حرمة الناس داخل بيوتهم (توفيق أحمد عبد الجواد: ص 193). أما الشناشيل الموجودة في الطابق الأول والمطلة على الشارع فهي عبارة عن فتحات تكون مجّهزة بكتائب خاصة تمنع دخول أشعة الشمس والتطفل من الخارج بحيث تعطي خصوصية عالية وتضاف لها الستائر وغالباً ما تنزلق أبواب النوافذ والكتائب إلى الأعلى لتوفير المزيد من مساحة الفضاء كما تعطي الشناشيل قدرة عالية على رؤية الخارج من الداخل وتمنع العكس لارتباط ذلك بزاوية الرؤية عندما يكون المشاهد قريباً منها، كما في الشكل (2-4)، (سليمة عبد الرسول: ص 66- 67).

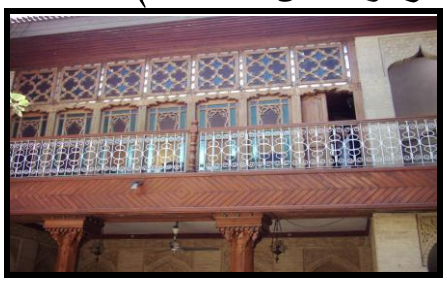

شكل (2-3)

النوافذ المطلة على الفناء الداخلي

تصوير الباحثة .. بيت عبد المجيد الشاوي

شكل (2-4)

الشناشيل المطلة على الشارع

تصوير الباحثة – بيت عبد المجيد الشاوي

(*) الكواء: مفردها (كوة)، فإذا ثُقبت فيطلق عليها أسم نافذة وإذا لم تثقب فهي مشكاة، وأُطلقت كلمة الكواء على النوافذ أيضاً باعتبارها فتحات مشبّكة بالحديد أو القصب (أبن سيدة: ص 127).

9- الأعمدة والجسور Columns & Bridges

أُستخدمت في البيوت التراثية البغدادية أنواعاً مختلفة من الأعمدة تطورت أشكالها تبعاً للفترة الزمنية ولعل أقدمها هو العمود المقرنص الذي شاع استعماله في القرن التاسع عشر، يتركب هذا العمود من بدن وتاج وعادة ما يكون بدون قاعدة ومن الأمور المهمة هو طريقة التعبير في إيجاد تناسب بين أجزاء العمود نفسه وبين الأعمدة الأخرى سواء كانت موجودة في الطابق الأرضي أو في الطابق الأول حيث تكون الأعمدة في الطابق الأرضي ذات أبدان بقطر أكبر وتيجان أضخم ويكون قطر البدن من القاعدة أكبر منه عند التاج للتعبير على إن هذه الأعمدة تحمل ثقلاً كبيراً وبالتالي تعطي ارتياحاً بصرياً وطمأنينة وثقة للساكنين بالتركيب الإنشائي للبيت، بينما يكون قطر بدن وتاج الأعمدة في الطابق الأول أقل من مثيلاتها في الطابق الأرضي للتعبير عن الرشاقة في النسب وخفة في الوزن (الثقل) على الطابق الأرضي، وبالتالي إعطاء راحة نفسية للساكنين في البيت ويُلاحظ بأن تاج العمود غالباً ما يكون مكعباً وعند النظر إليه يبدو وكأنه مستطيل حسب قاعدة الإيهام البصري، فالخطوط العمودية تبدو أطول من طولها الحقيقي والأفقية تظهر أقل من عرضها الحقيقي، والتاج عبارة عن تدرج في المستويات بتضخيم أعلى البدن لإعطاء تعبير في الانتقال من الشكل المضلع المدوّر المستدق العمودي إلى الشكل الأفقي المتعامد، فيكون الانتقال تدريجي من أجل إعطاء نوع من المرونة وزيادة المساحة الحاملة للأثقال والتراكيب السقفية حيث تستند إلى تاج العمود تراكيب الجسور الحاملة إضافة إلى السقوف التغليفية والتي تُعرف الآن بالسقوف الثانوية، تُعبّر الأعمدة عن العناصر الطولية والتي تساعد في إعطاء انطباع بأتساع الفضاء نحو الأعلى وتُشّكل أحد عوامل التنغيم في فضاء البيت البغدادي كما تُسهم الأعمدة ذات المقرنصات بتعزيز الوحدة الشكلية لفضاء البيت لاشتراك هذا العنصر التصميمي في أجزاء متعددة من الفضاءات الداخلية شكل (2-5)، (ولستيد: ص 107). ثم جاءت في فترة لاحقة الأعمدة شبه المقرنصة المضلعة وفي هذا النوع تم التقليل من استخدام المقرنص في العمود وشاع التبسيط فيه وإضافة عنصر زخرفي نباتي إلى الشكل العام للعمود وقد أعطى هذا تنوعاً ومزجاً رائعاً لكل من الزخرفة الهندسية والزخرفة النباتية، ويُلاحظ في هذا النوع من الأعمدة ظهور الانسيابية المرنة الجميلة والرشيقة وبدأ الانتقال من العمود الطولي للبدن إلى الجسر المحمول المستعرض الذي يكون في غاية التناسب والحدة، وظهرت كذلك الأعمدة المضلعة الناقوسية المقلوبة كتبسيط للأعمدة أعلاه وانتشرت في العديد من بيوت ذوي الإمكانيات

المتوسطة وقد شاع استخدامها بشكل كبير، كما ظهرت الأعمدة الرخامية وبشكل خاص في بيوت الأثرياء وقد جاءت بنسب دقيقة أعطت تعبيراً للقوة والمتانة وتميل زخرفتها النباتية إلى التأثر بالعمارة العراقية القديمة وتشير الدلائل إلى إن مصدر هذه الأعمدة ربما يكون الموصل لتماثل رخامها الأزرق أو الرمادي اللون إلى ما هو موجود هناك وظهرت أيضاً الأعمدة البسيطة التي تكون دعائمها بدون تيجان في البيوت العادية (الدراجي: ص 21).

شكل (2-5)

الأعمدة المستخدمة في الطابق الأرضي

تصوير الباحثة – بيت عبد الرحمن النقيب

أما الجسور فهي مكّونة من جزأين، جزء داخلي حيث تستقر فيه الأعمدة الحاملة للأثقال والجزء الآخر فهو ذو جانب تغليفي إذ تتم تغطية الجزء الأول به وتشترك الزخارف والمرايا وجميع الخامات في تصميمه وإظهاره، ووظيفة الجسور هي إسناد السقوف إضافة إلى الجوانب الجمالية المتأتية منها شكل (2-6)، (العيساوي: ص 64).

شكل (2-6)

علاقة العمود بالجسر

تصوير الباحثة – بيت عبد المجيد الشاوي

10- المطبخ Kitchen

يُعد المطبخ أحد فضاءات البيت وهو الموضع الذي يُطبخ فيه الطعام، ويحتل هذا الفضاء أحد أركان البيت البغدادي ويتصل بهذا الفضاء فضاءً مجاوراً له يُخصص لغسل الأواني والصحون، بالإضافة إلى خزن المواد الغذائية الجافة والرطبة ويشتمل فضاء

المطبخ على الخزانات الجدارية (المشاكي)، لوضع أدوات المطبخ ومواده، أما التأثيرات البيئية والحسية للروائح والأبخرة والغازات المتولدة من عملية الطبخ فيتم معالجتها بإحداث منفذ هوائي يصل إلى أعلى الطابق الثاني (فريال مصطفى خضير: ص 126).

11- الحمام والمرافق الصحية Bathroom

الحمام عبارة عن فضاء صغير يتمتع بموقع يمنع التداخل البصري والبيئي وذلك لتأمين التكييف الحراري ومنع التعرض المباشر للبرد الخارجي، وتُبلّط أرضيته بحجر الكلس المرصوف مع طبقة من القير لمنع تسرب الرطوبة إلى داخل جدران الحمام ويتم تصريف مياه الحمام بطريقة متقنة إلى الخارج. أما المرافق الصحية فتتمتع بنفس الخصوصية والعزل البصري الذي يتمتع به الحمام وتقام بالقرب من الحمام أو في الدهليز تحت السلّم، واستمرت هذه العادة في وضع المرافق الصحية تحت السلّم إلى وقتنا هذا، وإذا ما وجِدت المرافق الصحية في الطابق الأول (العلوي)، فيُطلق عليها آنذاك أسم (الكرباس)، (فريال مصطفى خضير: ص 127- 130).

12- السلالم Stairs

تُعد السلالم من العناصر التصميمية المهمة في البيت البغدادي، فبواسطتها يمكن الوصول إلى الطابق العلوي أو السطح ويختلف موقعها وتصميمها وشكلها باختلاف الأبنية وموادها الإنشائية، حيث تتراوح المسافة بين كل درجة وأخرى ما بين (25-30 سم)، والارتفاع بالشئ نفسه شكل (2-7)، وتوضع قطعة من الخشب في مقدمة كل درجة لكي تَسند القدم في حالة الانزلاق، وتُحدد السلالم بالجدران الجانبية لأغراض السلامة والأمان، كما تُستخدم الفضاءات الباقية في السلّم كوحدات خزن ثابتة وعند الاستدارة في السلّم تكون الدرجة الواحدة على شكل مثلث (الدواف: ص 205- 206).

شكل (2-7)

السلالم في البيت البغدادي

تصوير الباحثة – بيت السويدي

ثانياً:- فضاءات ووحدات الطابق الأول

إن الطابق الأول يُشيّد فوق الطابق الأرضي وهو يشبهه في كونه يتألف من عدة فضاءات تطل على الصحن مباشرة شكل (2-8)، ومنها:-

1- فضاء المعيشة Living Space

يُعد من الفضاءات الخاصة – العامة، وهو عبارة عن فضاء محدد قد يرتبط بفضاءات أخرى مجاورة له عن طريق أبواب، وتكون هذه الفضاءات مشرفة على الشارع أو الزقاق في الغالب عن طريق شناشيلها وتُشرف أيضاً من خلال نوافذها على الفناء الداخلي للبيت، إن مستخدمي تلك الفضاءات يشعرون بمتعة حسية وجمالية عالية كونها غنية بالزخارف والنقوش الهندسية والمُعبرة عن المعالجات البيئية باستخدام مواد مناسبة وتقنية عالية في الصنعة، وتُبلّط أرضيتها بالطابوق الفرشي وفق ترتيب معين وحسب حاجة الفضاء بحيث تعطي انطباعات مختلفة كتوسيع الفضاء أو التوافق الشكلي، أما الجدران فتكون في الغالب مغلّفة بالخشب وقد تُزيّن بالزجاج الملون عبر تقاسيم هندسية مستطيلة أو معينية تؤطر جدران الفضاء وتأخذ السقوف عادة التشكيل الهندسي الملائم لإكمال متطلبات التعبير الوظيفي والجمالي وبما يوفر المتعة والراحة هذا التشكيل الهندسي للسقف قد يرافقه تطعيم بالمرايا أو الزجاج الملون بهدف كسب الفضاء تنوع وغنى فني مضاف (سليمة عبد الرسول: ص 61).

2- فضاءات النوم Bed Spaces

من الفضاءات الخاصة والتي تتواجد أغلبها في الطابق الأول أو في الطابق الوسطي الذي يكون جزئي بين الأول والأرضي، وتوفر هذه الفضاءات جواً من العزلة والهدوء لموقعها البعيد والمرتفع عن مراكز النشاط في البيت وتعتبر من أكثر فضاءات البيت خصوصية حيث يستقل كل فضاء بكيانه الخاص وليس هنالك ترابط بصري مع أي من الفضاءات المجاورة، وفي الغالب تكون فضاءات النوم متشابهة في السعة والتكوين لتحقيق مبدأ المساواة وتكون ذات ارتفاع قليل من أجل تسهيل التدفئة وخصوصاً في فصل الشتاء وتحتوي على خزائن جدارية ثابتة (المشاكي)، (Built in – units)، يصل عمقها إلى (90 سم)، وتستخدم هذه الوحدات لحفظ الملابس والأفرشة والمستلزمات الأخرى، ويُعالج السقف في تلك الفضاءات باستخدام الشرائح الخشبية وبأشكال مختلفة الترتيب، فالألواح المرتبة بشكل مائل على سبيل المثال تعطي الإحساس بالامتداد والسعة، وقد

يتخلل هذا الترتيب زهرة وسطية مزخرفة بأشكال هندسية ملائمة ومُطعّمة بالزجاج أو المرايا هذه المعالجات للسقف بالإضافة إلى ما تحمله من قيم جمالية وحسية وتعبيرية فهي معالجات للبيئة الفيزياوية تهدف إلى العزل الحراري والصوتي (مناف جعفر مهدي: ص 165– 166).

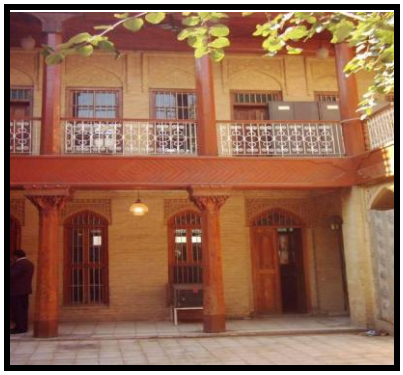

شكل (2–8)

فضاءات الطابق الأول

تصوير الباحثة – بيت عبد المجيد الشاوي

3– الحواجز (المحجّرات) Railings

استخدمتُ الحواجز (المحجّرات) في البيوت التراثية البغدادية كعناصر وظيفية وجمالية أهميتها الأساسية حماية الساكنين من السقوط وتكون على مستوى الطابق الأول أكثر دقة وجمالاً وبمتانة مناسبة، أما في السطح فتكون بسيطة الشكل وبمتانة عالية شكل (2–9) و (2–10)، ويمكن تصنيفها على أساس خاماتها كالآتي:–

1– محجّرات خشبية: وهي قليلة الاستعمال استخدمتُ في البيوت القديمة نسبياً.

2– محجّرات حديدية خشبية: وهي التي تكون كتائبها مكونة من الحديد أما زواياها فتكون من الخشب المخروط المتين وتُثبّت في البناء ويتم تثبيتها بشريط معدني قوي التركيب، والمحجّرات الحديدية جاءت بفترة لاحقة متأخرة من القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

3– المحجرات الحجرية والآجرية وربما الرخامية: يتراوح ارتفاعها بحدود متوسط من (70 – 80 سم)، تؤطر بقطعة خشبية على طول المحجر مشغولة جيداً وغالباً ما تكون بيضوية محززة المقطع تُثبت في داخلها الكتائب الحديدية المزخرفة أما سياج السطح (التيغة)، فيُبنى من الآجر وبارتفاع يقصد منه عدم الإطلال على الغير من الناس في بيوتهم توافقاً في ذلك مع الأعراف والتقاليد الموجودة.

شكل (2–9)

المحجرات المستخدمة في الطابق الأول

تصوير الباحثة – بيت السويدي

شكل (2–10)

المحجرات الحديدية الخشبية المستخدمة في الطابق الأول

تصوير الباحثة – بيت السويدي

4- السطوح

مِيزة امتازت بها البيوت البغدادية، فقد أعتاد البغداديون النوم في السطوح هروباً من حرارة الصيف العالية، وتتباين السطوح في أحجامها باختلاف سعة البيت وتكون أرضيتها مطلية بطبقة من الطين ومحاطة بأسيجة مبنية من الآجر هذا بالإضافة إلى إن السياج ضروري لمنع أخطار السقوط (فريال مصطفى خضير: ص 131– 132).

الفصل الثالث

النتائج والاستنتاجات

النتائج

1- أرتبط التصميم الداخلي للبيوت التراثية البغدادية بعلاقة وثيقة مع البيئة المحيطة بما تتضمنه تلك البيئة من عوامل طبيعية واجتماعية وحضارية تضافرت جميعها لإبراز السمات الخاصة لتلك البيوت.

2- جسّد التصميم الداخلي الهوية التعريفية والتعبيرية المميزة لكل فضاء على الرغم من ارتباطه بالفضاءات الأخرى ومجاورته لها ملبياً ومراعياً في نفس الوقت الجوانب الأدائية والجمالية لذلك الفضاء.

3- عبّر التصميم الداخلي عن التوافق الأدائي والجمالي في الفضاء الداخلي كما في الأعمدة والخِزانات الجدارية (المشاكي) بالإضافة إلى تعزيزه فكرة الوحدة الكلية لذلك الفضاء.

4- رغم اختلاف المواد المستخدمة في تصميم العناصر المحددة للفضاء الداخلي من ناحية الشكل واللون والملمس، إلا إنها جسدت وعبّرت عن وحدة تصميمية متكاملة ساعدت في تحقيق المتعة البصرية والحسية للتصميم الداخلي في ذلك الفضاء.

5- عبّر التصميم الداخلي عن الإحساس بقوة الشد البصري وعن الوظيفة الأدائية والجمالية لتلك الفضاءات، كما في الصحن الداخلي، فالتباين في العناصر الشكلية والتباين في اللون وفي القيمة اللونية بالإضافة إلى التنوع الملمسي للعناصر والذي شكّل مزيجاً ما بين الملمس الناعم والملمس الخشن كل ذلك أدى إلى تأكيد وتعزيز قوة الشد البصري.

6- وظّفت المعالجات التصميمية للعناصر العمودية (الجدران)، والمتمثلة بالفتحات غير النافذة (المشاكي) في تقليل كتلة الجدران الثقيلة وإعطاءها الرقة والخفة الحسية.

7- مثّلت المعالجات التفصيلية لوحدات الشناشيل أسلوباً ناجحاً في التحكم والسيطرة بشدة الضوء الداخل ومساره بالإضافة إلى المعالجات البيئية والاجتماعية المتمثلة بالخصوصية والتكييف للبيئة الداخلية.

8- أظهرت الألوان المستخدمة تنوعاً وحركة حسية وبصرية للتصميم الداخلي وجاء استخدامها ليعزز مفهوم الإتساعية في الفضاء الداخلي ونشر الضوء سواء كان طبيعياً أم صناعياً مع تأكيد الوحدة اللونية للمواد.

الاستنتاجات

1- إن البيوت التراثية البغدادية بكل خصائصها الشكلية ما هي إلا نتيجة تفاعل المعمار العراقي مع بيئته المحيطة والتواصل معها، أي التكيف مع المكان وتأثره به بالإضافة إلى عادات وتقاليد اجتماعية وعوامل حضارية لتجربة إنسانية متفاعلة مع وجودها.

2- مفهوم التصميم الداخلي للفضاءات الداخلية في البيوت التراثية البغدادية يقوم على الإنسان بقيمه الروحية والاجتماعية وعلى المكان الذي يُمثّل العنصر الجوهري لوجود

الإنسان جغرافياً وعلى الزمان الذي يعد بمثابة البعد الوجودي والروحي والانتماء إلى القيم المشرقة في التراث الحضاري والتاريخ الإنساني ولا يمكن الفصل بينهم أو تجريد أي منهم من علاقته التكاملية بالآخر.

3- مفهوم البيت التراثي البغدادي وتصميمه بجميع أشكاله وواجهاته هو انعكاس في العمارة والعمران للعوامل المناخية وللظروف البيئية السائدة.

4- نجح المعمار التراثي في الاستخدام الأمثل للمواد المحلية ومعالجتها والتحكم بمواقعها وبما يلاءم الوظيفة الأدائية والجمالية للفضاء الداخلي.

5- شكلّت الشناشيل إيقاعاً جميلاً من الكتل الملونة تميزت به أزقة المحلات البغدادية، كما إن التناغم الذي تعكسه تلك الوحدات أضفت على الزقاق أو الشارع رونقاً عمرانياً وروعة في التماثل والانسجام في سياقات معمارية بغدادية أصيلة.

6- أكد الصحن الداخلي بجميع خصائصه الشكلية والذي جذب إليه الأركان يأسرها بقوته المركزية على إنه الجزء المتمرد في ذلك الجسد الذي تجري فيه أغلب أو جميع الفعاليات الحياتية والاجتماعية وهو المسرح الذي تؤدي عليه الحياة الاجتماعية البغدادية دورها.

7- الفصل التام ما بين العام (الخارج) والخاص (الداخل)، والناتج من التباين في التكوين الحر للزقاق والمتكون من تلاصق البيوت وتداخل عناصرها الشكلية مع بعضها البعض مجسّدة بذلك واجهة عامة للزقاق بينما تتخذ الواجهات الداخلية للبيت التناظر في التشكيل محققة بذلك واجهة ذات طابع خاص.

المقترحات

1- تعتبر البيوت التراثية تراث الأمة العمراني وهي المرآة الدالة على حضارة البلد وتطوره، ومن خلال دراستها يمكننا إدراك الظروف الحضارية والاقتصادية والثقافية التي عاشها الإنسان في تلك المرحلة، لذلك فإن الحفاظ عليها يُمثّل ضرورة لابد منها لكي تصبح شواخص مكمّلة للخزين العمراني ولتزيد من رونق المشهد الحضاري.

2- إن استخدام الخصائص الشكلية التراثية في التصاميم الداخلية المعاصرة يساعد على تحقيق مفاهيم فلسفية وقيم جمالية بالإضافة إلى إنها تترك أثراً حميمياً في النفس لما تمتلكه تلك الخصائص من مرجعيات تراثية عميقة.

3- لتفعيل دور المصمم الداخلي في العملية التصميمية للفضاءات الداخلية يكون بإقامة مكتب استشاري من قبل المؤسسات الرسمية الهندسية ذات العلاقة يُسهم فيها بتقديم المقترحات التصميمية المستندة على المعايير والأسس المحلية للبيئة المحيطة بغية التوصل إلى إمكانية تقديم الأفكار التطبيقية والحلول التصميمية التي تفي بمتطلبات الفضاء الداخلي وساكنيه.

4- إعداد دراسة لبعض مواد الإنهاء المستخدمة في إعادة تأهيل البيوت التراثية التي تُثبت كفاءتها التقنية والمظهرية والتعبيرية والتي تدعم العملية التصميمية بشكل عام مع الاحتفاظ بالخصائص الشكلية لتلك البيوت.

5- التعاون مع الهيئة العامة للآثار والتراث في إحياء البيوت التراثية في بغداد والمحافظات كأن تكون محلة أو زقاق أو شارع أو بعض البيوت المميزة وجعلها نموذجاً لأبنية تراثية.

6- إجراء المسح والتوثيق للبيوت ذات الطابع المعماري التراثي المتنوع.

7- تطوير الملاكات العاملة على صيانة البيوت التراثية لأنها الخبرة الوحيدة التي تستطيع الحفاظ على هذا التراث الحضاري الكبير.

8- عقد الندوات والمحاضرات وطبع المنشورات لزيادة الوعي الثقافي التراثي لدى الناس من أجل الحفاظ على البيوت التراثية.

9- تأسيس جمعية علمية ثقافية عراقية تهتم بالحفاظ على التراث الحضاري المعماري في بلد الحضارة والتراث وتُسهم في تثقيف الأجيال الصاعدة من طلبة ومهندسين معماريين ومصممين داخليين وآثاريين ومحبي العمارة ليطلّعوا على الإبداع وليزيدوا ألقه لربطه بالتطور العمراني المعاصر.

التوصيات

1- إعداد دراسة بحثية حول توظيف الخصائص الشكلية التراثية في الفضاءات الداخلية العامة، كالفنادق وقاعات العرض وصالات الانتظار في محطات سكك الحديد والمطارات.

2- إعداد دراسة تحليلية على وفق الإطار النظري الحالي مع أمثلة لبيوت تراثية في باقي المحافظات.

3- إعداد دراسة تحليلية على وفق الإطار النظري الحالي في التصاميم الداخلية المعاصرة.

4- إعداد بحوث تحليلية لتراث العراق في فترات تاريخية مختلفة وتوظيفها في التصاميم الداخلية المعاصرة وتشمل:-

1- حضارة وادي الرافدين وفي جميع مراحلها (السومرية، الأكدية، البابلية، الآشورية).

2- فترة الخلافة الراشدية والأموية والعباسية.

3- فترة الحكم الأجنبي بعد سقوط الدولة العباسية.

المصادر

1. أبن سيدة، علي بن إسماعيل؛ **(المخصص) السفر الخامس**، ج (5)، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، 1318هـ.
2. أبو الخيل، عبد العزيز؛ **الكتاب والسُنة أساس تأويل العمارة الإسلامية**، دار النجد، الرياض، 1989.
3. أبو رميلة، ناجي؛ **البيئة والتنمية في الوطن العربي**، بدون دار نشر ومكان نشر، 1980.
4. أحمد زكي بدوي؛ **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، بيروت، لبنان، 1978.
5. أحمد عوض؛ **دراسات بيئية**، دار نوبار للطباعة، 2002.
6. الأشعب، خالص والشمري، ناصر؛ **ندوة العمارة والبيئة في العراق**، تقرير غير مطبوع، 1975.
7. آل سعيد، شاكر حسن؛ **المحيط والبيئة في الفن العراقي القديم**، مجلة الأقلام، العدد (1)، بغداد، 1998.
8. أمان، كريستي وآخرون؛ **حي السكن في المدينة العربية**، بحث منشور في مجلة عمارة، العدد (2)، مطبعة الأديب البغدادي، بغداد، 1989.
9. البهنسي، عفيف؛ **المدينة والعمارة على الأرض العربية عبر التاريخ**، بحث منشور في مجلة المدينة العربية، العدد (39)، منظمة المدن العربية، الكويت، 1989.
10. توفيق أحمد عبد الجواد؛ **تاريخ العمارة والفنون الإسلامية**، ج (3)، المطبعة الفنية الحديثة، 1970.
11. الحيالي، ميادة فهمي حسين؛ **المستقبلية في التصميم الداخلي بين الافتراض والتحقيق**، أطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم التصميم، بغداد، 2004.
12. الخطاط، سلمان إبراهيم عيسى؛ **الفن البيئي**، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، مطابع دار الحكمة للطباعة والنشر، 1990.
13. الدواف، يوسف؛ **إنشاء المباني ومواد البناء**، الطبعة (3)، مطبعة شفيق، بغداد، 1969.
14. ديو رايت، ول؛ **قصة الحضارة**، ترجمة: زكي نجيب محمود بدران، الطبعة (2)، ج (1)، جامعة الدول العربية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1956.
15. الرازي، محمد ابن أبي بكر عبد القادر؛ **مختار الصحاح**، دار الرسالة، الكويت، 1982.

16. راسموسين، ستين ايلر؛ **الإحساس بالعمارة**، ترجمة: رياض تبوني، الجامعة التكنولوجيا، مركز التعريب والنشر، بغداد، 1986.
17. السلطاني، خالد؛ **دراسة في عمارة العراق ما بين الحربين 1920– 1940** ، مجلة آفاق عربية، العدد (10)، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1980.
18. سليمة عبد الرسول؛ **المباني التراثية في بغداد**، دراسة ميدانية لجانب الكرخ، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر، بغداد، 1987.
19. سيتون، لويد ١؛ **آثار بلاد الرافدين**، ترجمة: د. سامي سعيد الأحمد، دار الطليعة للطباعة، بيروت، 1980.
20. شاكر عبد الحميد ؛ **التفضيل الجمالي** ، دراسة في سيكولوجية الزمن الفني ، سلسلة كتب شفافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1990 .
21. شريف يوسف؛ **تاريخ فن العمارة في مختلف العصور**، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1982.
22. عبد الرحيم غالب؛ **موسوعة العمارة الإسلامية**، ط (1)، جروس بيرس، بيروت، 1988.
23. العبيدي، شيماء عبد الجبار؛ **البيئة والتصميم الصناعي**، ط (1)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2005.
24. العبيدي، محمد عبد المحسن؛ **التحول الدلالي في النحت العراقي المعاصر بين المفهوم والبيئة**، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، بغداد، 2004.
25. العمايرة، علي؛ **هندسة التصميم الداخلي والديكور**، دار الأمان، عمان، 1985.
26. العيساوي، ياسين طه إسماعيل؛ **أسس التصميم الداخلي في البيوت العربية التراثية البغدادية وإمكانية توظيف هذه الأسس في التصاميم الداخلية المعاصرة**، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة، قسم التصميم، 1992.
27. فريال مصطفى خضير؛ **البيت العربي في العراق في العصر الإسلامي**، وزارة الثقافة والإعلام، المؤسسة العامة للآثار والتراث، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1983.
28. كمال الدين سامح؛ **العمارة في صدر الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982.
29. مجيد حميد عارف؛ **الإنثولوجيا والفولكلور**، جامعة بغداد، 1990.
30. مصطفى جواد؛ **الإيوان والكنيسة في العمارة الإسلامية**، مجلة سومر، المجلد (25)، 1969.
31. مناف جعفر مهدي؛ **العقيدة الاجتماعية أحد الضوابط الأساسية في التصميم الداخلي للأبنية السكنية في بغداد**، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، جامعة بغداد، كلية الفنون الجميلة، قسم التصميم، بغداد، 1998.
32. النوري، قيس؛ **بيئة الإنسان من منظور الثقافة والمجتمع**، جامعة بغداد، 1998.
33. ولستيد، جيمس ستيواد؛ **رحلتي إلى بغداد في عصر الوالي داوود باشا**، تعريب: سليم طه التكريتي، مكتبة النهضة العربية، دار إحياء التراث العربي، بغداد، 1984.

Abstract

As Iraq is one of the oldest civilized centers of the human history, this gives it an important among other countries. Its land witnessed the oldest human experiments and attempts in different fields of science and art. Iraqis recorded a significant achievement in the fields of building arts, industry and architecture, among these, building was distinguished in Iraq over the ages. Although these building vary in its forms and a functions, houses revealed to be distinguished in its antiquity and variety, also the basis of its planning and architecture and material was the basics of construction other building like temples towers needed for endowment. One of the most essential and formal aspects in Iraqi old or traditional houses is revealed by the high capability of the Iraqi architecture to understand the lard and the environment which represented together by weather and social life, in addition to the functional needs of the house according to the available building materials to achieve a best useful houses for one or group families in cities. The following study is an attempt to reveal the relationship between the formal aspects in design the internal spaces of Baghdad traditional houses and the surrounded environment according to the aesthetical performance to a contemporary internal design in its originality and cultural contents.

The research depends on theoretical studies for the spaces of some Baghdad traditional houses. The study includes three chapters. The first chapter studied the problem important, aims and elimination of basic term used in this study. The second chapter studied the previous studies and the theoretical background which falls in four sections:

The first section studied the effect of the environment on the internal design of the Baghdad traditional hoses. The second section there is an explanation of the formal aspects of the internal design in Baghdad: traditional houses.

Chapter three includes the results of samples analysis according to which, the conclusions where stated which explain the relationship of the formal traditional aspects with the surrounded environments. Finally the researcher stated a number of suggestions and recommendation for further studies.